

(١٠٦) سورة قريش

في رهاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها أربع نزلت بعد سورة التين، تتحدث عن نعم الله الجليلة على أهل مكة حيث كان لهم رحلتان رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام وهما للتجارة وقد أكرم الله قريشاً بنعمتين هما: نعمة الأمن والاستقرار ونعمة الغنى واليسر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِلَيْلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِلَيْلِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾

معاني المفردات:

إيلاف قريش: لجعلهم آلفين الرحلتين.

التفسير:

﴿إِلَيْلَافِ قُرَيْشٍ﴾ هذه اللام متعلقة بالفعل الذي بعدها "فليعبدوا" ومعنى "الإيلاف" الإلفة والاعتياد يقال ألفت الرجل الأمر إلفاً وإلفاً والمعنى من أجل تسهيل الله عز وجل على قريش وتيسيره لهم ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام كما قال تعالى ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ أى في رحلتى الشتاء والصيف حيث كانوا يسافرون للتجارة ويأتون بالأطعمة والثياب، ويربحون في الذهاب والإياب، وهم آمنون مطمئنون لا يتعرض لهم أحد بسوء، لأن الناس كانوا يقولون هؤلاء حيران بيت الله ومساكن حرمه وهم أهل الله لأنهم ولاة الكعبة ولما أهلك الله أصحاب الفيل ورد كيدهم في نحورهم ازداد وقع أهل مكة في القلوب

وازداد تعظيم الأمراء والملوك لهم، فازدادت تلك المنافع والمتاجر، فلذلك جاء الامتنان على قريش ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ أى فليعبدوا الله العظيم الجليل، رب هذا البيت العتيق، وليجعلوا عبادتهم شكرا هذه النعمة الجليلة التي خصهم بها، قال المفسرون: وإنما دخلت الفاء "فليعبدوا" لما في الكلام من معنى الشرط كأنه قال: إن لم يعبدوه لسائر نعمته فليعبدوه من أجل إيلافهم الرحلتين ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ أى أن هذا الإله العظيم هو سبحانه الذى أطعمهم بعد شدة الجوع وآمنهم بعد شدة خوف يقول الله عز وجل "أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم"⁽¹⁾ وذلك ببركة دعاء أبيهم الخليل إبراهيم عليه السلام حيث قال "رب أحعل هذا بلدا آمنا"⁽²⁾ وقوله سبحانه "وارزقهم من الثمرات"⁽³⁾ أفلا يجب على قريش أن يفرّدوا بالعبادة هذا الإله الجليل الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف"⁽⁴⁾

الإعراب:

<p>لإيلاف اللأم متعلقة بقوله فيما بعد "فليعبدوا" كأنه قال فإن لم يعبدوا الله لسائر النعم السابقة عليهم المترادفة فليعبدوه لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف وهى نعمة سابقة أتاحت لهم الاتجار وضمنت لهم ميسور الرزق وإيلاف مصدر آلف بوزن أكرم يقال آلفته أولفه إيلافا وقال الخليل والبصريون اللأم لام الإضافة متصلة بفليعبدوا والتقدير: فليعبدوا رب هذا البيت لأن من عليهم بإيلاف قريش وصرف عنهم شر أصحاب الفيل وقال السمرى والفراء: يجوز أن تكون اللأم لام التعجب: انه قال أعجبنا يا محمد لإيلاف قريش قريش مضاف إليه مجرور⁽⁵⁾.</p>	<p>لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ</p>
---	-----------------------------

(١) الآية (٦٧) سورة العنكبوت.

(٢) الآية (١٢٦) سورة البقرة.

(٣) الآية (٣٧) سورة إبراهيم.

(٤) صفوة التفسير للأستاذ محمد علي الصابوني ص ١٧٧٢.

(٥) إعراب القرآن الكريم لمحي الدين الدرويش ص ٥٩٠ المجلد العاشر.

<p>إيلافهم بدل من لا يلاف بدل مقيد من مطلق أطلق الإيلاف فى الأول وقيده فى الثانى برحلتى الشتاء والصيف تفخيما لأمر الإيلاف وتعظيما له ، رحلة مفعول به للمصدر ، الشتاء مضاف إليه مجرور والصيف معطوف على الشتاء.</p>	<p>إِلَيْفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ</p>
<p>الفاء هى الفصيحة لأنها وقعت فى جواب شرط مقدر اللام لام الأمر ، ليعبدوا مضارع مجزوم باللام والواو فاعل ، رب مفعول به منصوب. هذا اسم إشارة مبنى فى محل جر بالإضافة البيت بدل مجرور.</p>	<p>فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ</p>
<p>الذى اسم موصول نعت لرب أو بدل منه وجملة أطعمهم صلة لا محل لها ومن جوع متعلق بأطعمهم ومن تعليلية أى أنعم عليهم وأطعمهم لإزالة الجوع عنهم فلا بد من تقدير مضاف أى من أجله وكذلك آمنهم من خوف.</p>	<p>الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنَ الْجُوعِ وَآمَنَهُمْ مِنَ خَوْفٍ</p>

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الطباق بين "الشتاء والصيف" وبين "الجوع والإطعام" وبين "الأمن والخوف".
- الإضافة للتكريم والتشريف ﴿ رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾.
- تقديم ما حقه التأخير ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ والأصل ليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف "فقدم الإيلاف تذكيرا بالنعمة.
- التنكير فى لفظة "الجوع" ولفظة "خوف" لبيان شدتهما أى جوع شديد وخوف عظيم.

